بسم الله الرحمن الرحيم

١ - الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهرَه على الدين كله وكفى بالله شهيداً. أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فهدى به من الضلالة، وبصرَّ به من العمى، وأرشد به من الغيّ، وفتح به أعيناً عميا، وآذاناً صما، وقلوباً غلفا، فبلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وعَبد ربه حتى أتاه اليقين من ربه. صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً. ففرّق به بين الحق والباطل، والهدي والضلال، والرشاد والغي، وطريق أهل الجنة وطريق أهل النار، وبين أوليائه وأعدائه.

٢ - فالحلال ما حلله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله، والدين ما شرعه الله ورسوله، وقد أرسله الله إلى الثقلين: الجن والإنس، فعلى كل أحد أن يؤمن به وبما جاء به ويتبعه في باطنه وظاهره، والإيمانُ به ومتابعته هو سبيل الله وهو دين الله، وهو عبادة الله وهو طاعة الله، وهو طريق أولياء الله وهو الوسيلة التي أمر الله ـا عباده في قوله تعالى (٥: ٣٥): {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ}. فابتغاء الوسيلة إلى الله إنما يكون لمن توسل إلى الله بالإيمان بمحمد واتباعه.

٣ - وهذا التوسل بالإيمان به وطاعته فرض على كل أحد في كل حال، باطناً وظاهراً، في حياة رسول الله e وبعد موته، في مشهده ومغيبه، لا يسقط التوسل بالإيمان به وبطاعته عن أحد من الخلق في حال من

الأحوال بعد قيام الحجة عليه، ولا بعذر من الأعذار، ولا طريق إلى كرامة الله ورحمته والنجاة من هوانه وعذابه إلا التوسل بالإيمان به وبطاعته.

٤ - وهو e شفيع الخلائق صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، فهو أعظم الشفعاء قدراً وأعلاهم جاهاً عند الله.

وقد قال تعالى (٣٣: ٦٩) عن موسى: {وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا} وقال (٣: ٤٥) عن المسيح: {وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالأخِرَةِ}. ومحمد e أعظم جاهاً من جميع الأنبياء والمرسلين، لكن شفاعته ودعاؤه إنما ينتفع بما[1] من شفع له الرسول ودعا له، فمن دعا له الرسول وشفع له توسل إلى الله بشفاعته ودعائه، كما كان أصحابه يتوسلون إلى الله بدعائه وشفاعته، وكما يتوسل الناس يوم القيامة إلى الله تبارك وتعالى بدعائه وشفاعته، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما.

٥ - ولفظ (التوسل) في عرف الصحابة كانوا يستعملونه في هذا المعنى. والتوسل بدعائه وشفاعته ينفع مع الإيمان به، وأما بدون الإيمان به فالكفار والمنافقون لا تغني عنهم شفاعة الشافعين في الآخرة.

٦ - ولهذا ُ ي عن الاستغفار لعمه وأبيه وغيرهما من الكفار، وي عن الاستغفار للمنافقين وقيل له (٦٣ : ٦): {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَاسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}. ولكن الكفار يتفاضلون في الكفر كما يتفاضل أهل الإيمان في الإيمان، قال تعالى (٩ : ٣٧): {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ}، فإذا كان في الكفار من خف كفره بسبب نصرته

---

(١) في المخطوطة: "به". والذي يظهر أن لفظ (ما) أولى لأنه الضمير يعود إلى الشفاعة والدعاء.

ومعونته، فإنه تنفعه شفاعته في تخفيف العذاب عنه، لا في إسقاط العذاب بالكلية، كما في صحيح مسلم[١] عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: قلت: يارسول الله فهل نفعتَ أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: "نعم هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار"، وفي لفظ: إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل نفعه ذلك؟ قال: "نعم، وجدته في غمرات من نار فأخرجته إلى ضحضاح"[٢]، وفيه عن أبي سعيد أن رسول الله e ذُكر عنده عمه أبوطالب فقال: "لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه، يغلي منهما دماغه"[٣] وقال: "إن أهون أهل النار عذاباً أبوطالب، وهو منتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه"[٤].

٧ - وكذلك ينفع دعاؤه لهم بأن لا يعجل عليهم العذاب في

---

(١) كتاب الإيمان ٩٠ - باب شفاعة النبي e لأبي طالب، حديث (٣٧٥)، والحديث في البخاري ٦٣ - مناقب الأنصار، ٤٠ - باب قصة أبي طالب، حديث (٣٨٨٣)، ٧٨ - كتاب الأدب حديث (٦٢٠٨). وفي مسند أحمد (١/٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨). كلهم من طريق عبد الله بن الحارث بن نوفل عن العباس - رضي الله عنه - مرفوعاً.

(٢) صحيح مسلم الباب السابق ذكره حديث (٣٥٨).
والضحضاح أصله الماء القليل القريب القعر ثم استعير للقليل من النار، اللسان (٢/٥١٤).

(٣)(٤) مسلم الباب السابق حديث (٣٦٠) وباب إن أهون أهل النار عذاباً، حديث (٣٦٢).

الدنيا كما كان e يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه وهو يقول: "اللهم اغفر لقومي فإم لا يعلمون"[١]. وروى أنه دعا بذلك: أن اغفر لهم فلا تعجّل عليهم العذاب في الدنيا، قال تعالى (٣٥ : ٤٥): {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمى}، وأيضاً فقد يدعو لبعض الكفار بأن يهديه الله أو يرزقه فيهديه أو يرزقه، كما دعا لأم أبي هريرة حتى هداها الله[٢]، وكما دعا لدَوْس فقال: "اللهم اهد دوساً وائت م" فهداهم الله[٣].

٨ - وكما روى أبوداود أنه استسقى لبعض المشركين لما طلبوا منه أن يستسقي لهم، فاستسقى لهم[٤]، وكان ذلك إحساناً منه إليهم

---

(١) البخاري، كتاب المرتدين ٨٨ - باب ٥، حديث (٦٩٢٩). ومسلم ٣٢ - كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، حديث (١٠٥). وابن ماجه ٣٦ - كتاب الفتن، حديث (٤٠٢٥) ج (١٣٣٥/٢). ومسند أحمد (٣٨٠/١، ٤٢٧، ٤٣٢، ٤٤١، ٤٥٣، ٤٥٦، ٤٥٧). كلهم من حديث عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه.

(٢) صحيح مسلم ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة ٣٥ - باب فضل أبي هريرة حديث (١٥٨) من طريق أبي كثير، يزيد بن عبد الرحمن.
حدثني أبوهريرة، قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوا يوماً فأسمعتني في رسول الله e ما أكره، فأتيت رسول الله e وأنا أبكي، قلت: يارسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي، فدعوا اليوم فاسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال: "اللهم أهد أم أبي هريرة" ، ثم ساق القصة، وفيها أا أسلمت، رضي الله عنها.

(٣) البخاري ٦٤ - مغازي ٧٥ - باب قصة دوس والطفيل بن عمرو، حديث (٤٣٩٢)، ٨٠ - الدعوات، ٥٩ - باب الدعاء للمشركين، حديث (٦٣٩٧). ومسلم (١٩٥٧/٤)، باب فضائل غفار وأسلم... وطيِّء ودوس، حديث (١٩٧). وأحمد (٢٤٣/٢، ٤٤٨). كلهم من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٤) لم أجد هذا الحديث الذي أشار إليه شيخ الإسلام في سنن أبي داود في الاستسقاء، فربما أورده أبوداود في غير أبواب الاستسقاء وقد يكون سبق قلم من الإمام أو من الناسخ، والحديث المشار إليه في البخاري، الاستسقاء حديث (١٠٢٠) فتح (٥١٠/٢) و ٦٥ - =

يتألف به قلوبم، كما كان يتألفهم بغير ذلك.

٩ - وقد اتفق المسلمون على أنه e أعظم الخلق جاهاً عند الله، لا جاه لمخلوق عند الله أعظم من جاهه، ولا شفاعة أعظم من شفاعته، لكن دعاء الأنبياء وشفاعتهم ليس بمنزلة الإيمان بـ وطاعتهم، فإن الإيمان بـ وطاعتهم توجب سعادة الآخرة والنجاة من العذاب مطلقاً وعاماً، فكل من مات مؤمناً بالله ورسوله مطيعاً لله ورسوله كان من أهل السعادة قطعاً، ومن مات كافراً بما جاء به الرسول كان من أهل النار قطعاً.

١٠ - وأما الشفاعة والدعاء، فانتفاع العباد به موقوف على شروط وله موانع، فالشفاعة للكفار بالنجاة من النار والاستغفار لهم مع موم على الكفر لا تنفعهم ولو كان الشفيع أعظم الشفعاء جاها، فلا شفيع أعظم من محمد e، ثم الخليل إبراهيم، وقد دعا الخليل إبراهيم لأبيه واستغفر له كما قال تعالى (١٤: ٤١) عنه: {رَبّنا اغْفرْ لي وَلوالدَيّ وللمُؤمنينَ يومَ يَقُومُ الحساب}.

كتاب التفسير سورة ٤٤ - الدخان، ٥ - باب ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون حديث (٤٨٢٤). ومسند أحمد (١/٣٨٠ - ٣٨١) من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - واللفظ للبخاري قال: "إن الله بعث محمداً e، وقال: "قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين"، فإن رسول الله e، لما رأى قريشاً استعصوا عليه فقال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف، فأخذم السنة حتى حصت كل شيء حتى أكلوا العظام والجلود والميتة وجعل يخرج من الأرض كهيئة الدخان فجاء أبوسفيان، فقال: أي محمد إن قومك قد هلكوا فادع الله أن يكشف عنهم، فدعا...) وفي رواية للبخاري قبل هذه برقم (٤٨٢٢) "فقيل له إن كشفنا عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر".

وقد كان e أراد أن يستغفر لأبي طالب اقتداء بإبراهيم، وأراد بعض المسلمين أن يستغفر لبعض أقاربه فأنزل الله تعالى (٩ : ١١٣): {ما كان للنّبِيّ والذينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا للمُشْرِكِينَ وَلَوْ كانُوا أولى قُرْبى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيّنَ أنهم أصْحَابُ الجحيم} ثم ذكر الله عذر إبراهيم فقال (٩ : ١١٤ - ١١٥): {وما كان اسْتِغْفارُ إبْراهيمَ لأبيهِ إلاّ عنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إيّاهُ فَلَمّا تَبَيّنَ لَهُ أنّهُ عَدُوٌ للهِ تَبَرّأ منْهُ إنَّ إبْراهيمَ لأوّاهٌ حليمٌ* وما كانَ اللهُ لِيُضلَّ قَوْمًا بَعْدَ إذْ هَداهُمْ حَتَّى يُبَيّن لهُمْ ما يَتّقونَ}.

١١ - وثبت في صحيح البخاري[١] عن أبي هريرة عن النبي e أنه قال: "يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له ابراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك. فيقول ابراهيم: يارب أنت وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، وأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله عز وجل: إني حرّمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: انظر ما تحت رجليك فينظر، فإذا هو بذيخ[٢] متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار". فهذا لما مات مشركًا لم ينفعه استغفار إبراهيم مع عظم جاهه وقدره، وقد قال تعالى للمؤمنين (٦٠ : ٤ - ٥): {قد كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ في إبْراهيمَ وَالذينَ مَعَهُ إذْ قالُوا لقَوْمهمْ إنّا بُرءَآؤُاْ منْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُون الله كَفَرْنا بِكُمْ وبَدا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ العَداوَةُ والبَغْضاءُ أبَدًا حَتَّى تُؤمنُوا بالله وَحْدَهُ إلاّ قَوْلَ إبراهيمَ لأبيه لأسْتَغْفرَنَّ لَكَ وما أمْلكُ لكَ مِنَ اللهِ مِنْ

---

(١) ٦٠ - كتاب الأنبياء ٨ - باب قول الله تعالى: {واتخذ الله إبراهيم خليلا} حديث (٣٣٥٠)، ٦٥ - كتاب التفسير (١) باب {ولا تخزني يوم يبعثون} حديث (٤٧٦٨، ٤٧٦٩).

(٢) الذيخ: ذكر الضباع.

شَيءٍ رَبّنا عَلَيْكَ تَوَكَّلنا وإلَيْكَ أَنَبْنا وإلَيْكَ المَصِيرُ* رَبّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لّلذينَ كَفَرُا واغْفِرْ لَنا رَبّنا إنّك أنْتَ الْعَزِيزُ الحكِيمُ} فقد أمر الله[١] تعالى المؤمنين بأن يتأسوا بإبراهيم ومن اتبعه، إلا في قول إبراهيم لأبيه: "لأستغفرنَّ لك" فإن الله لا يغفر أن يشرك به.

١٢ - وكذلك سيد الشفعاء محمد e، ففي صحيح مسلم[٢] عن أبي هريرة أن النبي e قال: "استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي".

وفي رواية[٣] أن النبي e زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ثم قال: "استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت".

١٣ - وثبت عن أنس في الصحيح[٤] أن رجلاً قال: يارسول الله

---

(١) لفظ الجلالة غير موجود في المخطوطة.

(٢) كتاب الجنائز ٣٦ - باب استئذان النبي e في زيارة قبر أمه، حديث (١٠٥).

(٣) مسلم في الموضع السابق حديث (١٠٦). وأبوداود (٥٥٧/٣) ١٥ - الجنائز، ٨١ - باب في زيارة القبور، حديث (٣٢٣٤). والنسائي (٧٤/٤)، كتاب الجنائز، باب زيارة قبر المشرك. وابن ماجه (٥٠١/١)، ٦ - كتاب الجنائز، ٤٨ - باب ماجاء في زيارة قبور المشركين حديث (١٥٧٢). وأحمد (٤٤١/٢). والحاكم (٣٧٥/١). كلهم من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، وأخرج أحمد (٣٥٦/٥ - ٣٥٧) من حديث بريدة، قال: خرجت مع النبي e، حتى إذا كنا بودّان قال: "مكانكم حتى آتيكم"، فانطلق، ثم جاءنا وهو سقيم، فقال: أتيت قبر أم محمد، فسألت ربي الشفاعة فمنعنيها...". وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣٧٥/١، ٣٧٦).

(٤) مسلم (١٩١/١)، ١ - كتاب الإيمان، ٨٨ - باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين، حديث (٣٤٧). وأبوداود (٩٠/٥) ٣٤ - السنة، ١٨ - باب في ذراري المشركين حديث (٤٧١٨). كلاهما من حديث أنس، رضي الله عنه.

=

أين أبي؟ قال: "في النار". فلما قفّى[١] دعاه فقال: "إني أبي وأباك في النار".

١٤ - وثبت أيضًا في الصحيح[٢] عن أبي هريرة: لما أنزلت هذه الآية (٢٦: ٢١٤): {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} دعا رسول الله e قريشاً فاجتمعوا فعم وخص فقال: "يابني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يابني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يابني عَبْد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار يابني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، [يابني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار][٣]، يابني عبد المطلب انقذوا أنفسكم من النار، يافاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من

وأخرج ابن ماجه (٥٠١/١) من طريق الزهري عن سالم عن أبيه، قال: جاء أعرابي إلى النبي e، فقال: يارسول الله إن أبي كان يصل الرحم وكان وكان، فأين هو؟ قال: "في النار" قال: فكأنه وجد من ذلك فقال: يارسول الله فأين أبوك، فقال رسول الله e: "حيثما مررت بقبر مشرك، فبشره بالنار...".
قال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، محمد بن إسماعيل (يعني ابن البختري) وثقه ابن حبان والدارقطني والذهبي، وباقي رجال الإسناد على شرط الشيخين "مصباح الزجاجة (٤٣/٢) باب زيارة قبور المشركين".

(١) في المخطوطة والمطبوعة: "قفا". والتصحيح من صحيح مسلم.

(٢) مسلم (١٩٢/١)، كتاب الإيمان، ٨٩ - باب قوله تعالى {وأنذر عشيرتك الأقربين} حديث (٣٤٨)، والترمذي (٣٣٨/٥ - ٣٣٩)، ٤٨ - التفسير باب ٢٧ - وفي سورة الشعراء، حديث (٣١٨٥). والنسائي (٢٠٨/٦)، كتاب الوصايا، باب إذا أوصى لعشيرته الأقربين. وأحمد (٣٣٣/٢، ٣٦٠، ٥١٩). كلهم من طريق موسى بن طلحة عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٣) الزيادة من: صحيح مسلم، ولفظ هذا المتن له.

الله شيئاً، غير أن لكم رحما سأبُلُّها ببلالها[١].

وفي رواية عنه "يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله، فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً، يابني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، ياصفية - عمة رسول الله - لا أغني عنك من الله شيئاً، يافاطمة بنت رسول الله، سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً"[٢].

وعن عائشة لما نزلت: {وَأنذرْ عَشيرَتَكَ الأقْرَبين} قام رسول الله e فقال: "يافاطمة بنت محمد، ياصفية بنت عبد المطلب، [يابني عبد المطلب][٣]، لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ماشئتم"[٤].

١٥ - وعن أبي هريرة قال: قام فينا رسول الله e خطيباً ذات يوم فذكر الغلول[٥] فعظمه وعظم أمره ثم قال: "لا ألفينَّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رُغاء يقول: يارسول الله، أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول: يارسول الله، أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك،

---

(١) البلال: الماء، ومعنى الحديث: سأصلها. شبهت قطيعة الرحم بالحرارة، ووصلها بإطفاء الحرارة بالبرودة ومنه: بلوا أرحامكم أي صلوها.

(٢) البخاري ٦٥ - تفسير سورة الشعراء ٢ - باب {وأنذر عشيرتك الأقربين} حديث (٤٧٧١) ومسلم (١٩٢/١)، الإيمان، حديث (٣٥١). والنسائي (٢٠٨/٦) الوصايا باب إذا أوصى لعشيرته الأقربين. كلهم من طريق سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٣) سقط من: المطبوعة. والتصحيح من المخطوطة وصحيح مسلم.

(٤) مسلم (١٩٢/١) الإيمان حديث (٣٥٠). والنسائي (٢٠٩/٦) الوصايا الباب السابق ذكره من طريق هشام بن عروة عن أبيه عنها.

(٥) الغلول: اختلاس المرء ما ليس له به من حق.

لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، فيقول: يارسول الله أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق[١] فيقول يارسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت[٢] فيقول: يارسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك". أخرجاه في الصحيحين[٣].

وزاد مسلم[٤] "لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يارسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك".

وفي البخاري[٥] عنه أن النبي e قال: "ولا يأتي أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبته لها يُعار[٦] فيقول يامحمد، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد بلغت، ولا يأتي أحدكم ببعير يحمله على رقبته له رغاء فيقول: يا محمد، فأقول لا أملك لك شيئاً، قد بلغت".

١٦ - وقوله هنا e لا أملك لك من الله شيئاً كقول إبراهيم لأبيه (٦٠ :٤): {لأستَغْفِرَن لَكَ ومَا أمْلكُ لكَ منَ الله منْ شَيءٍ}.

---

(١) الرقاع هنا: الثياب.
(٢) المال عند العرب صامت وناطق، فالصامت الذهب والفضة، والناطق المواشي والسوائم.
(٣) البخاري ٥٦ - الجهاد، ١٨٩ - باب الغلول، حديث (٣٠٧٣). ومسلم (١٤٦١/٣)، ٣٣ - كتاب الإمارة، ٦ - باب غلظ تحريم الغلول حديث (٢٤). وأحمد (٤٢٦/٢). وروى بعضه النسائي (١٦/٥)، باب مانع زكاة الإبل.
(٤) هو جزء من الحديث السابق.
(٥) ٢٤ - الزكاة، ٣ - باب إثم مانع الزكاة، حديث (١٤٠٢).
(٦) في المطبوعة: "ثغاء" والتصحيح من المخطوطة، وصحيح البخاري.

١٧ - وأما شفاعته ودعاؤه للمؤمنين فهي نافعةٌ في الدنيا والدين باتفاق المسلمين، وكذلك شفاعته للمؤمنين يوم القيامة في زيادة الثواب ورفع الدرجات متفق عليها بين المسلمين.

وقد قيل إن بعض أهل البدعة ينكرها.

١٨ - وأما شفاعته لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم.

١٩ - وأنكرها كثير من أهل البدع من الخوارج[١] والمعتزلة والزيدية، وقال هؤلاء: من يدخل النار لا يخرج منها لا بشفاعة ولا غيرها، وعند هؤلاء ما ثَمَّ إلا من يدخل الجنة فلا يدخل النار، ومن يدخل النار فلا يدخل الجنة، ولا يجتمع عندهم في الشخص الواحد ثواب وعقاب.

٢٠ - وأما الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر الأئمة كالأربعة وغيرهم فيقرّون بما تواترت به الأحاديث الصحيحة عن النبي e أن الله يخرج من النار ًقوما بعد أن يعذبهم الله ما شاء أن يعذبهم، يخرجهم بشفاعة محمد e ويخرج آخرين بشفاعة غيره، ويخرج قومًا بلا شفاعة[٢].

٢١ - واحتج هؤلاء المنكرون للشفاعة بقوله تعالى (٢: ٤٨): {وَاتَّقوا يومًا لا تَجْزى نَفس عن نفْسٍ شَيْئًا ولا يُقْبَلُ منها شفاعةٌ ولا يُؤْخَذُ منها عَدْلٌ} وبقوله (٢: ١٢٣): {ولا يُقْبَلُ منها عَدْلٌ ولا تَنْفَعُها شفاعةٌ} وبقوله (٢: ٢٥٤): {منْ قَبْل أَنْ يأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ ولا خُلَّةٌ

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري ص ٨٦، ٢٧٤.

(٢) راجع صحيح مسلم ١ - كتاب الإيمان من حديث (٢٩٩ - ٣٤٦) ج (١/١٦٣ - ١٩٠).

ولا شفاعة} وبقوله (٤٠: ١٨): {وما للظَّالِمينَ منْ حَميم ولا شَفِيع يُطاع} وبقوله (٧٤: ٤٨): {فما تَنْفَعُهُمْ شفاعةُ الشافعين}.

وجواب أهل السنّة أن هذا [لعله يراد][١] به شيئان:

٢٢ - أحدهما: أنا لا تنفع المشركين، كما قال تعالى (٧٤: ٤٢ - ٤٨) في نعتهم: {ما سَلَكَكُمْ في سَقَر* قالوا لَمْ نَكُ منَ المصَلِّين* وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وكُنَّا نخُوضُ مَعَ الْخائضين* وكُنَّا نُكَذِّبُ بيَوْمِ الدِّين* حَتَّى أَتانا الْيَقين* فَمَا تَنْفَعُهُم شفاعَةُ الشَّافِعين} فهؤلاء نفى عنهم نفع شفاعة الشافعين لأم كانوا كفارًا.

٢٣ - والثاني: أنه يراد بذلك نفي الشفاعة التي أثبتها[٢] أهل الشرك، ومن شابهم من أهل البدع، من أهل الكتاب والمسلمين، الذين يظنون أن للخلق عند الله من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه، كما يشفع الناس بعضهم عند بعض فيقبل المشفوع إليه شفاعة الشافع[٣] لحاجته إليه رغبة ورهبة، كما يعامل المخلوقُ المخلوق[٤] بالمعاوضة. فالمشركون كانوا يتخذون من دون الله شفعاء من الملائكة والأنبياء والصالحين، ويصورون تماثيلهم فيستشفعون ا ويقولون: هؤلاء خواص الله، فنحن نتوسل إلى الله بدعائهم وعبادم ليشفعوا لنا، كما يُتوسل إلى الملوك بخواصِّهم لكوم أقرب إلى الملوك من غيرهم، فيشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك، وقد

---

(١) مابين المعكوفتين زيادة من : المطبوعة. قصد ا استقامة الكلام لأنه لا يستقيم إلا ا.
(٢) في المخطوطة: "ثبّتها".
(٣) في المطبوعة: "شافع".
(٤) سقطت من: ز. وهي موجودة في: ب، خ.

يشفع أحدهم عند الملك فيما لا يختاره فيحتاج إلى إجابة شفاعته رغبة ورهبة. فأنكر الله هذه الشفاعة فقال تعالى (٢: ٢٥٥): {مَنْ ذا الذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاَّ بإذْنه}، وقال (٥٣: ٢٦): {وكَمْ مِنْ مَلَك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى} وقال (٢١: ٢٦ - ٢٨) عن الملائكة: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ* لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَ لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} وقال: (٣٤: ٢٢ - ٢٣): {قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ* وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} وقال تعالى (١٠: ١٨): {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} وقال تعالى (٦: ٥١): {وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} وقال تعالى (٣٢: ٤): {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ شَفِيعٍ أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ} وقال تعالى (٤٣: ٨٦): {وَلاَ يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} وقال تعالى (٦: ٩٤): {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ} وقال تعالى (٣٩: ٤٣ - ٤٥): {أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلاَ

يَعْقِلُونَ* قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ* وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} وقال تعالى (٢٠: ١٠٨ - ١٠٩): {وَخَشَعَتْ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَانِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَ هَمْسًا* يَوْمَئِذٍ لاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَانُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلا} وقال صاحب يس (٣٦: ٢٢ - ٢٥): {وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ* أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِي الرَّحْمَانُ بِضُرٍّ لاَ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلاَ يُنقِذُونِي* إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ* إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ}.

٢٤ - فهذه الشفاعة التي أثبتها[١] المشركون للملائكة والأنبياء والصالحين حتى صوروا تماثيلهم[٢] وقالوا: استشفاعنا بتماثيلهم استشفاع م، وكذلك قصدوا قبورهم وقالوا: نحن نستشفع م بعد مملم ليشفعوا لنا إلى الله، وصوروا تماثيلهم فعبدوهم كذلك، وهذه الشفاعة أبطلها الله ورسوله وذم المشركين عليها وكفرهم ا. قال الله تعالى عن قوم نوح (٧١: ٢٣ - ٢٤): {وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا* وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا}.

٢٥ - قال ابن عباس وغيره: هؤلاء قوم صالحون كانوا في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم فعبدوهم.

---

(١) في المخطوطة: "ثبتها".

(٢) تعليق الصور على الجدران سواء كانت مجسمة أو غير مجسمة، لها ظل، أو لا ظل لها، يدوية أو فوتوغرافية، فإن ذلك كله لا يجوز، ويجب على المستطيع نزعها إن لم يستطع تمزيقها، وفيه أحاديث كثيرة. انظر ص ١٠٠ من (آداب الزفاف) للشيخ المحدث ناصر الدين الألباني - طبعة المكتب الإسلامي. (زهير شاويش).

٢٦ - وهذا مشهور في كتب التفسير والحديث وغيرها كالبخاري[١] وغيره، وهذه أبطلها النبي e وحسم مادا وسد ذريعتها، حتى لعن من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلي فيها وإن كان المصلي فيها لايستشفع بها، وى عن الصلاة إلى القبور، وأرسل علي بن أبي طالب فأمره أن لا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه، ولا تمثالاً إلا طمسه ومحاه، ولعن المصورين.

٢٧ - وعن أبي الهياج الأسدي، قال لي علي بن أبي طالب: إني لأبعثك على ما بعثني رسول الله e ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً[٢] مشرفاً إلا سويته. وفي لفظ: ولا صورة إلا طمستها. أخرجه مسلم[٣].

فصل

٢٨ - ولفظ (التوسل) قد يراد به ثلاثة أمور، يراد به أمران متفق عليهما بين المسلمين.

---

(١) في ٦٥، كتاب التفسير، تفسير سورة نوح، حديث (٤٩٢٠). وتفسير ابن جرير (٢٩/٩٨ - ٩٩) ذكر أقوالاً لابن عباس وغيره. والدر المنثور (٨/٢٩٣).

(٢) فيه تحريم رفع القبور فوق الحد المشروع في السنة، وهو قدر شبر أو شبرين، والأمر فيه بتسويتها بالأرض، لا ينافي السنة، خلافاً لمن أنكر هدم القباب والقبور المشرفة من قبل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وجماعته، فإن الهدم للقبور سنة بل واجب، إذا كانت على خلاف السنة. فتنبه ولا تكن من الغافلين.

(٣) في ١١، الجنائز، ٣١ - باب الأمر بتسوية القبر، حديث (٩٣). وأبوداود ١٥ - كتاب الجنائز، ٧٢ باب في تسوية القبر، حديث (٣٢١٨). والترمذي (٣/٣٥٧)، ٨ - كتاب الجنائز ٥٦ - باب ماجاء في تسوية القبر، حديث (١٠٤٩). والنسائي (٤/٧٣)، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبور إذا رفعت. وأحمد (١/٩٦، ١٢٩).

٢٩ - أحدهما: هو أصل الإيمان والإسلام، وهو التوسل بالإيمان به[١] وبطاعته.

٣٠ - والثاني: دعاؤه وشفاعته، وهذا أيضاً نافع يتوسل به من دعا له وشفع فيه باتفاق المسلمين. ومن أنكر التوسل به بأحد هذين المعنيين فهو كافر مرتد يستتاب، فإن تاب وإلا قتل مرتداً.

٣١ - ولكن التوسل بالإيمان وبطاعته هو أصل الدين، وهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام للخاصة والعامة، فمن أنكر هذا المعنى فكفره ظاهر للخاصة والعامة.

٣٢ - وأما دعاؤه وشفاعته وانتفاع المسلمين بذلك فمن أنكره فهو أيضاً كافر، لكن هذا أخفى من الأول، فمن أنكره عن جهل عُرِّف ذلك، فإن أصر على إنكاره فهو مرتد.

٣٣ - أَمَّا دعاؤه وشفاعته في الدنيا فلم ينكره أحد من أهل القبلة.

٣٤ - وأما الشفاعة يوم القيامة، فمذهب أهل السنة والجماعة - وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم - أن له شفاعات يوم القيامة خاصة وعامة، وأنه يشفع فيمن يأذن الله له أن يشفع فيه من أمته من أهل الكبائر. ولا ينتفع بشفاعته إلا أهل التوحيد المؤمنون[٢] دون أهل الشرك، ولو كان المشرك محباً له معظمًا له لم تنقذه شفاعته من النار، وإنما ينجيه من النار التوحيد والإيمان به. ولهذا لما كان

---

(١) أي بالرسول e.
(٢) في المخطوطة: "المؤمنين".

أبو طالب وغيره يحبونه ولم يقروا بالتوحيد الذي جاء به لم يمكن أن يخرجوا من النار بشفاعته ولا بغيرها.

٣٥ - وفي صحيح البخاري[١] عن أبي هريرة أنه قال: قلت: يارسول الله أي الناس أسعد بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: "أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قالا لا إله إلا الله خالصاً من قلبه".

٣٦ - وعنه في صحيح مسلم[٢] قال: قال رسول الله e: "لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً".

---

(١) كتاب العلم، ٣٣ - باب الحرص على الحديث، حديث (٩٩)، وفي ٨١ - كتاب الرقاق، ٥١ - باب صفة الجنة والنار، حديث (٦٥٧٠). وأحمد (٣٠٧/٢، ٣٧٣، ٥١٨)، وعند أحمد: "شفاعتي لمن يشهد أن لا إله إلا الله مخلصا يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه".

(٢) كتاب الإيمان، ٨٦ - باب اختباء النبي e دعوة الشفاعة لأمته، حديث (٣٣٤ - ٣٤٠). وأخرجه البخاري ٩٧ - كتاب التوحيد ٣١ - باب في المشيئة والإرادة، حديث (٧٤٧٤). والترمذي (٥٨٠/٥)، ٤٩ - كتاب الدعوات، ١٣١ - باب فضل لاحول ولا قوة إلا بالله، حديث (٣٦٠٢). وابن ماجه، ٣٧ - كتاب الزهد، ٣٧ - باب في ذكر الشفاعة، حديث (٤٣٠٧). والدارمي (٢٣٥/٢) حديث (٢٨٠٨). كلهم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وأحمد (٢٧٥/٢، ٣٩٦، ٤٢٦، ٤٨٦) وأخرجه مسلم في الباب السابق من حديث أنس برقم (٣٤١ - ٣٤٣) ومن حديث جابر برقم (٣٤٥). وأحمد (٢٨١/١، ٢٩٦) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - و (١٣٤/٣، ٢٠٨، ٢١٩) من حديث أنس - رضي الله عنه - و (١٤٥/٥ و ١٤٨) من حديث أبي ذر - رضي الله عنه -.

(١٨)

٣٧ - وفي السنن[١] عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله e: "أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين

---

(١) الترمذي (٦٢٧/٤)، ٣٨ - كتاب صفة القيامة، باب ماجاء في الشفاعة ١٣ - باب منه، حديث (٢٤٤١) قال: حدثنا هناد، حدثنا عبدة، عن سعيد عن قتادة عن أبي المليح عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: قال رسول الله e "أتاني آت..." فذكر الحديث. وأحمد (٢٨/٦) في قصة طويلة نوعاً ما من طريق أبي عوانة عن قتادة به. قال الترمذي عقب رواية الحديث وقد روى عن أبي المليح، عن رجل آخر من أصحاب النبي e ولم يذكر عن عوف بن مالك، وفي الحديث قصة طويلة، حدثنا قتيبة، حدثنا أبوعوانة، عن قتادة، عن أبي المليح، عن عوف بن مالك، عن النبي e نحوه. وهذا الاختلاف على أبي المليح بين قتادة ومن أشار إليه الترمذي لا يضر للأسباب الآتية:
أولاً: أن قتادة حافظ. فاحتمال وهمه بذكر عوف بن مالك بدلاً من صحابي آخر ضعيف جداً.
ثانياً: أن مخالفه مجهول، فيحتمل أن يكون ضعيفاً كما يحتمل أن يكون هو الواهم على أبي المليح بذكر الصحابي الآخر.
ثالثاً: وهو مؤيد لحفظ قتادة أن ابن ماجه روى في سننه (١٤٤٤/٢)، ٣٧ - كتاب الزهد ٣٧ - باب ذكر الشفاعة، حديث (٤٣١٧) عن هشام بن عمار، حدثنا صدقة ابن خالد، حدثنا ابن جابر (يعني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر) قال: سمعت سليم بن عامر، سمعت عوف بن مالك الأشجعي يقول... وذكر الحديث نحوه.
وله شاهدان:
أولاً: حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن النبي e قال: "أتاني آت من ربي عز وجل فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة، فقالا (يعني هو ومعاذ): ادع الله عز وجل أن يجعلنا في شفاعتك، فقال: "أنتم ومن مات لا يشرك بالله شيئاً في شفاعتي". رواه أحمد (٤٠٤/٤) حدثنا عفان ثنا حماد يعني ابن سلمة، نا عاصم عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي e. وقد صححه الشيخ الألباني بناء على رواية الترمذي عن عوف بن مالك وحديث أبي موسى هذا. انظر صحيح الجامع (٧٢/١) رقم (٥٦).
ثانياً: حديث عبد الله بن عمر عن النبي e قال: "خيرت بين الشفاعة أو يدخل نصف أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة لأنا أعم وأكفى". رواه الإمام أحمد (٧٥/٢)، من طريق علي بن النعمان بن قراد عن رجل عن ابن عمر - رضي الله عنهما - وهو إسناد ضعيف لجهالة الرجل المذكور في الإسناد، وكذلك علي بن النعمان بن قراد لم أقف له على ترجمة.

الشفاعة، فاخترت الشفاعة، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً" وفي لفظ قال:"ومن لقي الله لا يشرك به شيئاً فهو في شفاعتي".

٣٨ - وهذا الأصل وهو التوحيد هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً غيره، وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، كما قال تعالى: (٤٣: ٤٥): {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَانِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} وقال تعالى (٢١: ٢٥): {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَ أَنَا فَاعْبُدُونِ} وقال تعالى (١٦: ٣٦): {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ}. وقد ذكر الله عز وجل عن كل من الرسل أنه افتتح دعوته بأن قال لقومه (١١: ٥٠ و ٦١): {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}.

٣٩ - وفي المسند[١] عن ابن عمر عن النبي e أنه قال: "بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم".

---

(١) (٥٠/٢). والبخاري، ٥٦ - كتاب الجهاد، ٨٨ - باب ما قيل في الرماح، ذكره معلقا، فقال: ويذكر عن ابن عمر عن النبي e، فذكره وليس فيه: "ومن تشبه بقوم فهو منهم". حديث (٢٩١٤).
ورجاله ثقات غير عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، مختلف في توثيقه. قال الحافظ في الفتح (٩٦/٦): وله شاهد مرسل بإسناد حسن أخرجه ابن أبي شيبة من طريق الأوزاعي، عن سعيد بن جبلة، عن النبي e، وصححه الألباني. انظر صحيح الجامع (٨/٣).

٤٠ - والمشركون من قريش وغيرهم - الذين أخبر القرآن بشركهم
[خ/٧] واستحل النبي e / دماءهم وأموالهم وسبى حريمهم وأوجب لهم النار - كانوا مقرين بأن الله وحده خلق السماوات والأرض كما قال (٣١: ٢٥): {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} وقال (٢٩: ٦١): {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّا يُؤْفَكُونَ} وقال (٢٣: ٨٤ - ٩١): {قُلْ لِمَنْ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ* قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ* قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّا تُسْحَرُونَ* بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ* مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ}.

٤١ - وكان المشركون الذي جعلوا معه آلهة أخرى مقرين بأن آلهتم مخلوقة، ولكنهم يتخذوم شفعاء ويتقربون بعبادم إليه كما قال تعالى (١٠: ١٨): {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}، وقال تعالى (٣٩: ١ - ٣): {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ* إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدْ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ* أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}.

٤٢ - وكانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك.

وقال تعالى (٣٠: ٢٨ - ٣٢): {ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الأيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ* بَلْ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ* فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ* مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُوا مِنْ الْمُشْرِكِينَ* مِنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}.

٤٣ - بين سبحانه بالمثل الذي ضربه لهم أنه لا ينبغي أن يجعل مملوكه شريكه فقال: هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم، فأنتم فيه سواء يخاف أحدكم مملوكه كما يخاف بعضكم بعضاً، فإذا كان أحدكم لا يرضى أن يكون مملوكه شريكه فكيف ترضون لي مالا ترضونه لأنفسكم؟.

٤٤ - وهذا كما كانوا يقولون: له بنات. فقال تعالى (١٦: ٦٢): {وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمْ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمْ الْحُسْنَى لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمْ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ}. وقد قال تعالى (١٦: ٥٨ - ٦٠): {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدا وَهُوَ كَظِيمٌ* يَتَوَارَى مِنْ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ* لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالأخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}.

٤٥ - والمشركون الذين وصفهم الله ورسوله (بالشرك أصلهم)[١] صنفان: قوم نوح وقوم إبراهيم. فقوم نوح كان أصل شركهم العكوف على قبور الصالحين، ثم صوروا تماثيلهم، ثم عبدوهم. وقوم إبراهيم كان أصل شركهم عبادة الكواكب والشمس والقمر. وكل من هؤلاء وهؤلاء يعبدون الجن، فإن الشياطين قد تخاطبهم وتعينهم على أشياء، وقد يعتقدون أم يعبدون الملائكة وإن كانوا في الحقيقة إنما يعبدون الجن؛ فإن الجن هم الذين يعينوم ويرضون بشركهم. قال تعالى: (٣٤: ٤٠ - ٤١): {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلاَئِكَةِ أَهَؤُلاَءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ}.

٤٦ - والملائكة لاتعينهم على الشرك لا في المحيا ولا في الممات ولا يرضون بذلك/ [خ/٨] ، ولكن الشياطين قد تعينهم وتتصور لهم في صور الآدميين فيروم بأعينهم ويقول أحدهم: أنا إبراهيم، أنا المسيح، أنا محمد، أنا الخضر، أنا أبوبكر، أنا عمر، أنا عثمان، أنا علي، أنا الشيخ فلان. وقد يقول بعضهم عن بعض: هذا هو النبي فلان، أو (الشيخ فلان، و)[٢] هذا هو الخضر، ويكون أولئك كلهم جنا يشهد بعضهم لبعض. والجن كالإنس، فمنهم الكافر ومنهم الفاسق ومنهم العاصي وفيهم العابد الجاهل[٣]، فمنهم من يحب شخاً فيتزيّا في صورته ويقول: أنا فلان. ويكون ذلك في برِّية ومكان قفر فيطعم ذلك الشخص طعامًا ويسقيه شراباً أو

---

(١) هاتان الكلمتان سقطتا من: ز.

(٢) سقطت من: ز، ب.

(٣) في ز: الجاهل العابد، وفي هذا الكلام إشارة إلى الآية الكريمة: {وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك، كنا طرائق قدداً} (سورة الجن: ١١).

يدله على الطريق أو يخبره ببعض الأمور الواقعة الغائبة فيظن ذلك الرجل أن نفس الشيخ الميت أو الحي فعل ذلك، وقد يقول: هذا سر الشيخ وهذه رقيقته[١] وهذه حقيقته أو هذا مَلَكٌ جاء على صورته. وإنما يكون ذلك جنيا، فإن الملائكة لا تعين على الشرك والإفك والإثم والعدوان. وقد قال الله تعالى (١٧: ٥٦ - ٥٧): {قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا}.

٤٧ - قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء كالعزير والمسيح، فبين الله تعالى أن الملائكة والأنبياء عباد الله[٢]، كما أن الذين يعبدوم عباد الله، وبين أم يرجون رحمته ويخافون عذابه ويتقربون إليه كما يفعل سائر عباده الصالحين.

٤٨ - والمشركون من هؤلاء قد يقولون: إنا نستشفع م أي نطلب من الملائكة والأنبياء أن يشفعوا، فإذا أتينا قبر أحد طلبنا منه أن يشفع لنا، فإذا صورنا تمثاله - والتماثيل إما مجسدة وإما تماثيل مصورة كما يصورها النصارى في كنائسهم - قالوا: فمقصودنا ذه التماث يل تذكر أصحالا وسيرهم ونحن نخاطب هذه التماثيل ومقصودنا خطاب أصحالا ليشفعوا لنا إلى الله . فيقول أحدهم: ياسيدي فلاناً أو ياسيدي جرجس أو بطرس

---

(١) أي طيفه. وكل من رق جسده ونفسه يسمى رقيقًا.

(٢) والمسيح عليه السلام يتبرأ من الذين اتخذوه وأمه إلهين، وذلك يوم يسأله الله سبحانه: {أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق}. (المائدة ١١٦).

أو ياستي الحنونة مريم. أو ياسيدي الخليل أو موسى ابن عمران أو غير ذلك، اشفع لي إلى ربك. وقد يخاطبون الميت عند قبره أو يخاطبون الحي وهو غائب، كما يخاطبونه لو كان حاضراً حيا وينشدون قصائد يقول أحدهم فيها: ياسيدي فلانا! أنا في حسبك، أنا في جوارك، اشفع لي إلى الله، سل الله لنا أن ينصرنا على عدونا، سل الله أن يكشف عنا هذه الشدة، أشكو إليك كذا وكذا فسل الله أن يكشف هذه الكربة. أو يقول أحدهم: سل الله أن يغفر لي. ومنهم من يتأول قوله تعالى: (٤: ٦٤): {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا}.

٤٩ - ويقولون: إذا طلبنا منه الاستغفار بعد موته كنا بمنزلة الذين طلبوا الاستغفار من الصحابة، ويخالفون بذلك إجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر المسلمين، فإن أحداً منهم لم يطلب من النبي e بعد موته أن يشفع له ولا سأله شيئاً ولا ذكر ذلك أحد من أئمة المسلمين في كتبهم، وإنما ذكر ذلك من ذكره من متأخري الفقهاء وحكوا حكاية مكذوبة على مالك رضي الله عنه سيأتي ذكرها وبسط الكلام عليها[١] إن شاء الله تعالى.

٥٠ - فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موم عند قبورهم وفي مغيبهم، وخطاب تماثيلهم، هو من[٢] أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب، وفي مبتدعة أهل الكتاب

(١) انظر: (ص ١٢١).
(٢) كلمة "من" سقطت من: ز، ب.

والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به الله تعالى، قال الله تعالى[١] (٤٢: ٢١): {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ}. فإن دعاء الملائكة والأ نبياء بعد موم وفي مغيبهم وسؤالهم والاستغاثة م والاستشفاع م في هذه الحال - و [نصب] تماثيلهم بمعنى طلب الشفاعة منهم - هو من الدين الذي لم يشرعه الله ولا ابتعث به رسولاً ولا أنزل به كتاباً، وليس هو واجباً ولا مستحباً باتفاق المسلمين، ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين/ لهم بإحسان، ولا أمر به إمام من أئمة المسلمين، وإن كان ذلك مما يفعله كثير من الناس ممن له عبادة وزهد، ويذكرون فيه حكايات ومنامات، فهذا كله من الشيطان. وفيهم من ينظم القصائد في دعاء الميت والاستشفاع به والاستغاثة، أو يذكر ذلك في ضمن مديح الأنبياء والصالحين، فهذا كله ليس بمشروع لا واجب ولا مستحب باتفاق أئمة المسلمين.

٥١ - ومن تعبد بعبادة ليست واجبة ولا مستحبة وهو يعتقدها واجبة أو مستحبة فهو ضال مبتدع بدعةً سيئة لا بدعة حسنة باتفاق أئمة الدين، فإن الله لا يُعبد إلا بما هو واجب أو مستحب[٢]. وكثير من الناس يذكرون في هذه الأنواع من الشرك منافعَ ومصالح، ويحتجون[٣] عليها بحجج من جهة الرأي أو الذوق، أو من جهة التقليد والمنامات ونحو ذلك.

---

(١) "قال الله تعالى" سقطت من: ز.
(٢) في خ: "واجبا أو مستحبا".
(٣) في خ: "يحتج".

٥٢ - وجواب هؤلاء من طريقين: أحدهما الاحتجاج[١] بالنص والإجماع، والثاني القياس والذوق والاعتبار ببيان ما في ذلك من الفساد، فإن فساد ذلك راجح على ما يظن فيه من المصلحة.

٥٣ - أَمَّا الأول فيقال: قد علم بالاضطرار والتواتر من دين الإسلام وبإجماع سلف الأمة وأئمتها أن ذلك ليس بواجب ولا مستحب، وعلم أنه لم يكن النبي e بل ولا أحد من الأنبياء قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة و الأنبياء والصالحين ويستشفعوا بهم، لا بعد مماتهم ولا في مغيبهم.

٥٤ - فلا يقول أحد: يامَلائكة الله اشفعوا لي عند الله، سلوا الله لنا أن ينصرنا أو يرزقنا أو يهدينا.

٥٥ - وكذلك لا يقول لمن مات من الأنبياء والصالحين: يانبي الله، يارسول الله! ادع الله لي، سل الله لي، استغفر الله لي، سل الله لي أن يغفر لي أو يهديني أو ينصرني أو يعافيني.

٥٦ - ولا يقول: أشكو إليك ذنوبي أو نقص رزقي أو تسلط العدو علي، أو أشكو إليك فلاناً الذي ظلمني.

٥٧ - ولا يقول: أنا نزيلك أنا ضيفك أنا جارك، أو أنت تجير من يستجيرك، أو أنت خير معاذ يستعاذ به.

٥٨ - ولا يكتب أحد ورقة ويعلقها عند القبور، ولا يكتب أحد محضراً أنه استجار بفلان ويذهب بالمحضر إلى من يعمل بذلك المحضر،

---

(١) في خ: "وهو الاحتجاج".

ونحو ذلك مما يفعله أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين، كما يفعله النصارى في كنائسهم، وكما يفعله المبتدعون من المسلمين عند قبور الأنبياء والصالحين أو في مغيبهم.

٥٩ - فهذا مما علم بالاضطرار من دين الإسلام وبالنقل المتواتر وبإجماع المسلمين أن النبي e لم يشرع هذا لأمته.

٦٠ - وكذلك الأنبياء قبله لم يشرعوا شيئاً من ذلك، بل أهل الكتاب ليس عندهم عن الأنبياء نقل بذلك كما أن المسلمين ليس عندهم عن نبيهم نقل بذلك، ولا فعل هذا أحد من أصحاب نبيهم والتابعين لهم بإحسان، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم، ولا ذكر أحد من الأئمة لا في مناسك الحج ولا غيرها/ أنه [خ/١٠] يستحب لأحد أن يسأل النبي e عند قبره أن يشفع له أو يدعو لأمته أو يشكو إليه ما نزل بأمته من مصائب الدنيا والدين.

٦١ - وكان أصحابه يُبتلون بأنواع البلاء بعد موته، فتارة بالجدب، وتارة بنقص الرزق، وتارة بالخوف وقوة العدو، وتارة بالذنوب والمعاصي، ولم يكن أحد منهم يأتي إلى قبر الرسول e ولا قبر الخليل ولا قبر أحد من الأنبياء فيقول: نشكو إليك جدب الزمان أو قوة العدو أو كثرة الذنوب، ولا يقول: سل الله لنا أو لأمتك أن يرزقهم أو ينصرهم أو يغفر لهم.

٦٢ - بل هذا وما يشبهه من البدع المحدثة التي لم يستحبها أحد من أئمة المسلمين، فليست واجبة ولا مستحبة باتفاق أئمة المسلمين. وكل بدعة ليست واجبة ولامستحبة فهي بدعة سيئة، وهي ضلالة باتفاق المسلمين.

٦٣ - ومن قال في بعض البدع إنها بدعة حسنة فإنما ذلك إذا قام دليل شرعي على أنها مستحبة، فأما ما ليس بمستحب ولا واجب فلا يقول أحد من المسلمين إنها من الحسنات التي يتقرب بها إلى الله، ومن تقرب إلى الله بما ليس من الحسنات المأمور بها أمر إيجاب ولا استحباب فهو ضال متبع للشيطان، وسبيله من سبيل الشيطان.

٦٤ - كما قال عبد الله بن مسعود[1]: خط لنا رسول الله e خطا وخط خطوطاً عن يمينه وشماله ثم قال: "هذا سبيل الله، وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه". ثم قرأ (٦: ١٥٣): {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}.

٦٥ - فهذا أصل جامع يجب على كل من آمن بالله ورسوله أن يتبعه، ولا يخالف السنة المعلومة، وسبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، باتباع من خالف السنة والإجماع القديم، لا سيما وليس معه في بدعته إمام من أئمة المسلمين، ولا مجتهد

---

(١) أخرجه أحمد (٤٣٥/١، ٤٦٥). وابن حبان كما في الإحسان (١٠٦/١) حديث رقم (٦). وابن جرير (٨٨/٨). والحاكم في المستدرك (٣١٨/٢). وابن أبي عاصم في السنة (١٣/١) حديث (١٧). والبغوي في شرح السنة (١٩٦/١) وفي التفسير (١٤٢/٢) (ط دار المعرفة). كلهم من طريق عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً. وعاصم قال فيه الحافظ في التقريب (٣٨٣/١): "صدوق له أوهام".
ولكن للحديث شاهد من حديث جابر يرتقي به إلى درجة الحسن، وهو ما رواه ابن ماجه في مقدمة سننه، باب اتباع السنة حديث (١١). وابن أبي عاصم في السنة (١٣/١) حديث ١٦. والآجري ص١٢ من طريق مجالد بن سعيد عن الشعبي عن جابر، ومجالد ليس بالقوي لكنه يصلح للاعتبار.

يعتمد على قوله في الدين، ولا من يعتبر قوله في مسائل الإجماع والنزاع فلا ينخرم الإجماع بمخالفته، ولا يتوقف الإجماع على موافقته.

٦٦ - ولو قدر أنه نازع في ذلك عالم مجتهد لكان مخصوماً[١] بما عليه السنة المتواترة وباتفاق الأئمة قبله، فكيف إذا كان المنازع ممن ليس من اتهدين ولا معه دليل شرعي، وإنما اتبع من تكلم في الدين بلا علم، ويجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

٦٧ - بل[٢] النبي e مع كونه لم يشرع هذا فليس هو واجباً ولا مستحباً، فإنه قد حرم ذلك وحرم ما يفضي إليه، كما حرم اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد.

٦٨ - ففي صحيح مسلم[٣] عن جندب بن عبد الله أن النبي e قال قبل أن يموت بخمس: "إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أناكم عن ذلك".

[خ/١١] ٦٩ - وفي الصحيحين[١] عن عائشة أن النبي e / قال قبل موته: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر ما فعلوا، قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجداً[٢].

---

(١) في خ: "مخصوصاً". والظاهر ما أثبتناه.
(٢) في ز، ب: "إن النبي e".
(٣) (٣٧٧/١) ٥ - كتاب المساجد، ٣ - باب النهي عن بناء المساجد على القبور، حديث (٢٣). وأبو عوانة (٤٠١/١). والنسائي في الكبرى، كما في تحفة الأشراف ٤٤٣/٢. والطبراني في الكبير ١٨٠/٢، حديث (١٦٨٦). وابن سعد في الطبقات ٢٤٠/٢، وله شاهد عنده (٢٤١/٢) من حديث أبي أمامة عن كعب بن مالك، وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، والقاسم ابن عبد الرحمن وهو صدوق يرسل كثيراً.

٧٠ - واتخاذ المكان مسجداً هو أن يتخذ للصلوات الخمس وغيرها كما تبنى المساجد لذلك، والمكان المتخذ مسجداً إنما يقصد فيه عبادة الله ودعاؤه لا دعاء المخلوقين.

٧١ - فحرم e أن تتخذ قبورهم مساجد بقصد الصلوات فيها كما تقصد المساجد، وإن كان القاصد لذلك إنما يقصد عبادة الله وحده؛ لأن ذلك ذريعة إلى أن يقصدوا المسجد لأجل صاحب القبر ودعائه والدعاء به والدعاء عنده.

---

(١) البخاري ٢٣ - كتاب الجنائز، ٦١ - باب مايكره من اتخاذ المساجد على القبور، حديث (١٣٣٠)، وباب ٦٩ ما جاء في قبر النبي e وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، حديث (١٣٩٠). و ٦٤ - كتاب المغازي، ٨٣ - باب مرض النبي e ووفاته حديث، (٤٤٤١) ومسلم ٥ - كتاب المساجد، ٣ - باب النهي عن بناء المساجد على القبور، حديث (١٩). والنسائي (٧٨/٤) كتاب الجنائز، باب اتخاذ القبور مساجد، كلهم من حديث عائشة - رضي الله عنها -. وأخرجه البخاري ٨ - كتاب الصلاة، ٥٥ - باب حديث (٤٣٦). و ٦٠ - كتاب الأنبياء، ٥٠ - باب ماذكر عن بني إسرائيل، حديث (٣٤٥٤). و ٦٤ - كتاب المغازي، ٨٣ - باب مرض النبي e ووفاته، حديث (٤٤٤٤). و ٧٧ - كتاب اللباس، ١٩ - باب الأكسية والخمائص، حديث (٥٨١٦). ومسلم ٥ - كتاب المساجد، ٣ - باب النهي عن بناء المساجد علنا لقبور، حديث (٢٢). والنسائي (٣٣/٢) مساجد، باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد وأبوعوانة (٣٩٩/١، وأحمد ٢١٨/١. والدارمي ٢٦٧/١. كلهم من حديث عائشة وابن عباس - رضي الله عنهما -.
وأخرجه البخاري، ٨ - كتاب الصلاة، ٥٥ - باب، حديث (٤٣٧). ومسلم ٥ - كتاب المساجد، ٣ - باب النهي عن بناء المساجد على القبور، حديث (٢٠ - ٢١). وأبوداود ١٥ - كتاب الجنائز، ٧٦ - باب البناء على القبر، حديث (٣٢٢٧). والنسائي (٧٨/٤) كتاب الجنائز، باب اتخاذ القبور مساجد. وأبوعوانة (٤٠٠/١). كلهم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٢) وكان إعلانه e هذا التشريع قبيل موته بخمسة أيام خوفاً على أمته من الوقوع فيما وقع به غيرها من الضلال والانحراف.

٧٢ - فنهى رسول الله e عن اتخاذ هذا المكان لعبادة الله وحده؛ لئلا يتخذ ذلك[١] ذريعة إلى الشرك بالله. والفعل إذا كان يفضي إلى مفسدة وليس فيه مصلحة راجحة ينهى عنه، كما ى عن الصلاة في الأوقات الثلاثة[٢] لما في ذلك من المفسدة الراجحة، وهو التشبه بالمشركين الذي يفضي إلى الشرك. وليس في قصد الصلاة في تلك الأوقات مصلحة راجحة؛ لإمكان التطوع في غير ذلك من الأوقات.

٧٣ - ولهذا تنازع العلماء في ذوات الأسباب[٣] فسوغها كثير منهم في هذه الأوقات، وهو أظهر قولي العلماء؛ لأن النهي إذا كان لسد الذريعة أبيح للمصلحة الراجحة، وفعل ذوات الأسباب يحتاج إليه في هذه الأوقات ويفوت إذا لم يفعل فيها فتفوت مصلحتها، فأبيحت لما فيها من المصلحة الراجحة[٤]، بخلاف ما لا سبب له فإنه يمكن فعله في غير هذا الوقت فلا تفوت بالنهي عنه مصلحة راجحة، وفيه مفسدة توجب النهي عنه.

٧٤ - فإذا كان يه عن الصلاة[٥] في هذه الأوقات لسد ذريعة الشرك، لئلا يفضي ذلك إلى السجود للشمس ودعائها وسؤالها، كما يفعله أهل دعوة الشمس والقمر والكواكب الذين يدعوا ويسألوا، كان معلوماً

---

(١) سقط من: ز، ب.
(٢) وقت طلوع الشمس واستوائها في وسط السماء وغروا.
(٣) كركعتي تحية المسجد.
(٤) سقط من: ز، ب.
(٥) في خ: "فيه" وهو زائد كما يظهر.

أن دعوة الشمس - والسجود لها هو محرم في نفسه - أعظم تحريماً من الصلاة التي ى عنها؛ لئلا يفضي ذلك[١] إلى دعاء الكواكب.

٧٥ - كذلك لما ى عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، فنهى عن قصدها للصلاة عندها؛ لئلا يفضي ذلك إلى دعائهم والسجود لهم، لأن دعاءهم والسجود لهم أعظم تحريماً من اتخاذ قبورهم مساجد.

٧٦ - ولهذا كانت زيارة قبور المسلمين على وجهين: زيارة شرعية وزيارة بدعية. فالزيارة الشرعية أن يكون مقصود الزائر الدعاء للميت كما يقصد بالصلاة على جنازته الدعاء له.

٧٧ - فالقيام على قبره من جنس الصلاة عليه، قال الله تعالى في المنافقين (٩: ٨٤): {وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ} فنهى نبيه / عن الصلاة عليهم والقيام على قبورهم لأم كفروا بالله [١٢/خ] ورسوله وماتوا وهم كافرون.

٧٨ - فلما ى عن هذا وهذا؛ لأجل هذه العلة وهي الكفر دل على انتفاء هذا النهي عند انتفاء هذه العلة.

٧٩ - ودل تخصيصهم بالنهي على أن غيرهم يصلى عليه ويقام على قبره، إذ لو كان هذا غير مشروع في حق أحد لم يخصوا بالنهي، ولم يعلل ذلك بكفرهم.

٨٠ - ولهذا كانت الصلاة على الموتى من المؤمنين والقيام على قبورهم من السنة المتواترة، فكان النبي e يصلي على موتى المسلمين وشرع

---

(١) سقطت من: ز، ب.

ذلك لأمته، وكان إذا دفن الرجل من أمته يقوم على قبره، ويقول: "سلوا له التثبيت فإنه الآن يسئل" رواه أبوداود[١] وغيره.

٨١ - وقد كان يزور قبور أهل البقيع والشهداء بأحد، ويعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم: "السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله تعالى بكم لاحقون، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية. اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم"[٢].

---

(١) (٥٥٠/٣) - ١٥ كتاب الجنائز، ٧٣ - باب الاستغفار عند القبر للميت، (٣٢٢١). والحاكم في المستدرك (٣٧٠/١). والبيهقي (٥٦/٤). كلهم من حديث عثمان - رضي الله عنه - وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وصححه الألباني انظر أحكام الجنائز ص ١٥٦.

(٢) صحيح مسلم (٦٦٩/٢)، ١١ - كتاب الجنائز، باب مايقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، حديث (١٠٢)، وآخر حديث (١٠٣). والنسائي (٧٦/٤، كتاب الجنائز، باب الاستغفار للمؤمنين - وفي عمل اليوم والليلة (ص ٥٨٨)، وأحمد (٢٢١/٦)، وابن سعد في الطبقات (٢٤٠/٢، ٢٤١). كلهم عن عائشة رضي الله عنها.
وأخرجه مسلم حديث (١٠٤). والنسائي (٧٧/٤) وفي عمل اليوم والليلة (ص ٥٨٨) عن بريدة - رضي الله عنه -. وأخرج ابن سعد (٢٤٠/٢) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أيضاً.
وليس في هذه المصادر "اللهم لا تحرمنا أجرهم" إلخ، وإنما هي في كتاب ابن السني. انظر الأذكار للنووي (ص ٢٣٤)؛ فقد ذكر هذه الزيادة في حديث عائشة - رضي الله عنها -.

٨٢ - وفي صحيح مسلم[١] عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله e خرج إلى المقبرة فقال: "السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون".

٨٣ - والأحاديث في ذلك صحيحة معروفة. فهذه الزيارة لقبور المؤمنين مقصودها الدعاء لهم، وهذه غير الزيارة المشتركة التي تجوز في قبور الكفار.

٨٤ - كما ثبت في صحيح مسلم وأبي داود[٢] والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة أنه قال: أتى رسول الله e قبر أمه فبكى وأبكى[٣] من حوله ثم قال: "استأذنتُ ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، فاستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكركم بالآخرة". فهذه الزيارة التي تنفع في تذكير الموت تشرع ولو كان المقبور كافراً، بخلاف الزيارة التي يقصد بها الدعاء للميت فتلك لا تشرع إلا في حق المؤمنين.

٨٥ - وأما الزيارة البدعية؛ فهي التي يقصد بها أن يطلب من الميت الحوائج، أو يطلب منه الدعاء والشفاعة، أو يقصد الدعاء عند قبره لظن القاصد أن ذلك أجْوَبُ للدعاء.

---

(١) (٢١٨/١)، ٢ - كتاب الطهارة، حديث (٣٩). وأبوداود (٥٥٩/٣)، ١٥ - كتاب الجنائز، حديث (٣٢٣٧). وابن ماجه (١٤٣٩/٢). ٣٧ - كتاب الزهد، حديث (٤٣٠٦). وأحمد (٣٠٠/٢، ٣٧٥، ٤٠٨).

(٢) تقدم ص ٨، رقم (٣، ٤).

(٣) في: ز، ب "بكى". وهو تصحيف.